بدعة المقامات

تأليف:
د. إبراهيم بن محمد كشيدان

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أيها القراء! إن الله بعث النبي عليه الصلاة والسلام على حين فترة من الرسل، وعلى حين تفرق من الناس، لا يعرفون من دين الله شيئاً، فهدى الله بهذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام الناس من الضلال، وجمع به الشمل بعد تفرق، وأصبح الناس يعيشون في ظل هذا الدين بنعمة صفاء العقيدة، فلا يعبدون إلا الله ولا يخشون إلا إياه، ولا يحتكمون في شيء من أمور دينهم ودنياهم إلى أحد غير الله عز وجل، ورسوله عليه الصلاة والسلام.

أيها القراء:

هل النبي عليه الصلاة والسلام توفي وبقي شيء من الدين المقرب إلى الله ولم يبينه؟

الجواب: لا، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بين كل الدين إما بقوله وإما بفعله وإما بإقراره، إما ابتداء أو جواباً عن سؤال، والذي يدلك على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما ترك شيئاً مما يحتاجه الناس في عباداتهم ومعاملاتهم وعيشهم إلا بيّنه هو

قول الله: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا». إذا تبين ذلك عندكم أيها القراء فاعلموا أن كل من ابتدع شريعة في دين الله ولو بقصد حسن فإن بدعته هذه مع كونها ضلالة تعد طعناً في دين الله عز وجل وتعد تكذيباً لله في قوله: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً}؛[1] لأن هذا المبتدع الذي ابتدع شريعة في دين الله وليست في دين الله كأنه يقول بلسان حاله: إن الدين لم يكمل.

أيها القراء:

إن الأصل في العبادات التحريم، فلا يجوز إقامة عبادة ما إلا بدليل شرعي نقلي صحيح معمول به.

وليس مشروعا من الأمور* غير الذي في شرعنا مذكور

ومن ثم فإن أي عبادة من العبادات أو قربة من القربات لا تستند إلى نص شرعي صحيح فما هي إلا بدعة منكرة، وعمل مردود على صاحبه كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».[2]

هذا وإني قد كتبت قديما من قبل اثني عشر عاما كتاباً بينت فيه بعض البدع التي ابتدعها بعض القراء موسوم بـ (إسعاف طلاب

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) صحيح البخاري، ٢٦٩٧.

القرآن من بدع قراء آخر الزمان). ومن تلكم البدع التي نراها ونشاهدها ونسمعها من القراء قراءة القرآن بالمقامات على الإيقاعات الموسيقية، والتمطيط المذموم القبيح، وترديد الأصوات، وكثرة الترجيعات الغنائية القبيحة، والقراءة بالتلحين المذموم. وقبل الشروع في بيان هذه البدعة المنكرة أقول بالله مستعينا، راضيا به مدبرا معينا: إن تحسين الصوت بالقرآن مطلوب ومرغوب فيه، كيف لا وقد قال ربي سبحانه: {الذين ءاتينهم الكتب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به}[١] وقال سبحانه: {ورتل القرآن ترتيلا}[٢] وقال عليه الصلاة والسلام: (زينوا القرآن بأصواتكم)[٣]، وقال -صلى الله عليه وسلم-: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ).[4] فمن لم يسلك هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- وخالف أمره، وقدّم عليه هواه فهو على خطر عظيم،ولما استمع النبي عليه الصلاة والسلام إلى قراءة أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- وأعجبته قَالَ لَهُ: (يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ)[٥]، وفي رواية (قال: قلت: يا رسول الله! لو علمت مكانك لحبرت لك تحبيرا).[٦] أي: لحسَّنته ولجمَّلته.

---

(١) البقرة: ١٢١.

(٢) المزمل: ٤.

(٣) سنن أبي داود، ١٤٦٨.

(٤) صحيح البخاري، ٧٥٢٧.

(٥) صحيح البخاري، ٥٠٤٨.

(٦) صحيح ابن حبان، ٧١٩٧.

ولكن أقول: إن تزيين القرآن وتحسينه يكون بالتزام أحكام التلاوة المعروفة. ولا يتأتى ذلك إلا بالعلم بأحكام التلاوة والعمل بها من خلال النطق السليم لكلمات التنزيل، وإخراجها من مخارجها الصحيحة، وبيان صفاتها، وقراءتها كما أنزلت من غير لحن ولا إفراط ولا تفريط؛ لأن القراءة سنة متبعة يأخذها اللاحق عن السابق، فعن عَلِيّ -رضي الله عنه- قَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَقْرَؤُوا كَمَا عُلِّمْتُم».[١]

وعن زيدِ بن ثابتٍ -رضي الله عنه- قال: «القراءةُ سنّةٌ متبعةٌ».[٢]

وعن عروةَ بنِ الزّبيرِ -رضي الله عنه- قال: «إنَّ قراءةَ القرآنِ سنّةٌ مِن السُّنَنِ، فاقرَؤوا كَمَا أُقْرِئْتُمُوهُ».[3]

وأما جمال الصوت فهو نعمة من الله -سبحانه وتعالى- يهبها لمن يشاء من عباده.

قال النووي رحمه الله: «أجمع العلماء رضي الله عنهم من السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار أئمة المسلمين على استحباب تحسين الصوت بالقرآن، وأقوالهم وأفعالهم مشهورة نهاية الشهرة، فنحن مستغنون عن نقل شيء من أفرادها ودلائل هذا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: مستفيضة

(١) صحيح ابن حبان، ٧٤٦.

(٢) شرح السنة للبغوي، ٥١٢/٤.

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد بن سلام، ٣٦١/١.

عند الخاصة والعامة كحديث زينوا القرآن بأصواتكم...».[1]

وقال ابن الجزري -رحمه الله- في النشر: (ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده هم متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية التي لا تجوز مخالفتها ولا العدول عنها إلى غيرها).[٢]

وقال ابن خاقان رحمه الله:

أَيَا قَــارِئَ القُرْآنِ أَحْسِــنْ أَدَاءَهُ يُضَاعِفْ لَكَ اللهُ الجَزِيلَ مِنَ الأجْر
فَمَا كُلُّ مَنْ يَتْلُو الكِتَابَ يُقِيمُهُ وَلا كُلُّ مَنْ في النَّاسِ يُقْرِئُهُمْ مُقْرِي
وإِنَّ لَنَا أَخْذ القِرَاءَةِ سُنَّة عَن الأَوَّلِينَ المُقْرِئِينَ ذَوِى السِّتْرِ

وقال أيضا:

فَإِنْ أَنْتَ حَقَّقْتَ القِرَاءَةَ فَاحْذَرِ الزِ زْيَادَةَ فِيها وَاسْأَلِ الْعَوْنَ ذَا الْقَهْرِ
زِنِ الْحَرْفَ لا تُخْرِجْهُ عَنْ حَدِّ وَزْنِهِ فَوَزْنُ حُرُوفِ الذِّكْرِ مِنْ أَفْضَلِ الْبِرِّ

وقال السّخاوي رحمه الله:

يَا مَنْ يَرُومُ تِلاَوَةَ الْقُرْآنِ وَ يَرُودُ شَأْوَ أَئِمَّةِ الإِتْقَانِ
لاَ تَحْسَبِ التَّجْوِيدَ مَداً مُفْرِطاً أَوْ مَدَّ مَا لاَ مَدَّ فِيهِ لِوَانِ
أَوْ أَنْ تُشَدِّدَ بَعْدَ مَدٍّ هَمْزَةً أَوْ أَنْ تَلُوكَ الْحَرْفَ كَالسَّكْرَانِ

---

(١) التبيان للنووي، ص١٠٩.

(٢) النشر، ٢١٠/١.

أَوْ أَنْ تَفُوهَ بِهَمْزَةٍ مُتَهَوِّعاً فَيَفِرَّ سَامِعُهَا مِنَ الْغَثَيَانِ
لِلْحَرْفِ مِيزَانٌ فَلاَ تَكُ طَاغِياً فِيه وَلاَ تَكُ مُخْسِرَ الْمِيزَانِ

وقال ابن الجزري رحمه اللّه :

ويقرأ القرآن بالتحقيق مع حدر وتدوير وكل متبع

مع حسن صوت بلحون العرب مرتلا مجودا بالعربى

وقال أيضا:

مُكَمَّلاً مِنْ غَيْرِ مَا تَكَلُّفِ بِاللُّطْفِ فِي النُّطْقِ بِلاَ تَعَسُّفِ

ونشرع الآن في بيان بدعة المقامات القبيحة. والقول الفصل في حرمتها

ذكر ابن القيم -رحمه اللّه- هذا النوع في كتابه «زاد المعاد» بعد أن ذكر أدلة الفريقين المانعين والمجيزين فقال: «وفصل النزاع أن يقال: التطريب والتغني على وجهين. أحدهما: ما اقتضه الطبيعة وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين ولا تعليم، بل إذا خلي وطبعه واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التطريب والتلحين فذلك جائز، وإن أعان طبيعته بفضل تزيين وتحسين كما قال أبو موسى الأشعري -رضي اللّه عنه- للنبي: «لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً». والحزين ومن هاجه الطرب، والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين

والتطريب في القراءة، ولكن النفوس تقبله وتستحليه لموافقته الطبع، وعدم التكلف والتصنيع فيه، فهو مطبوع لا متطبع وكلف لا متكلف، فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويستمعونه وهو التغني الممدوح المحمود، وهو الذي يتأثر به التالي والسامع، وعلى هذا الوجه تحمل أدلة أرباب هذا القول كلها.

الوجه الثاني: ما كان من ذلك صناعة من الصنائع، وليس في الطبع السماحة به، بل لا يحصل إلا بتكلف وتصنع وتمرن، كما يتعلم أصوات الغناء بأنواع الألحان البسيطة والمركبة على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة لا تحصل إلا بالتعلم والتكلف، فهذه هي الذي كرهها السلف وعابوها وذموها ومنعوا القراءة بها، وأنكروا على من قرأ بها.وأدلة أرباب هذا القول إنما تتناول هذا الوجه، وبهذا التفصيل يزول الاشتباه، ويتبين الصواب من غيره، وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعاً أنهم برآء من القراءة بألحان الموسيقى المتكلفة التي هي إيقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة، وأنهم أتقى اللّه من أن يقرؤوا بها ويسوغوها، ويعلم قطعاً أنهم كانوا يقرؤون بالتحزين والتطريب، ويحسنون أصواتهم بالقرآن ويقرؤونه بشجى تارة، وبطرب تارة، وبشوق تارة، وهذا أمر مركوز في الطباع تقاضيه، ولم ينه الشارع عنه مع شدة تقاضي الطباع له، بل أرشد إليه وندب إليه وأخبر عن استماع اللّه له لمن قرأ به، وقال: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن».وفيه وجهان: أحدهما: أنه إخبار بالواقع الذي كلنا نفعله.والثاني: أنه نفي لهدي

من لم يفعله عن هديه وطريقه».[1] انتهى كلامه رحمه الله. قلت: ومراد من أجاز القراءة بالألحان هو فيما يوافق صحة التلاوة مع تحسين الصوت بها، أما إذا جاوز الحد وطرب وخرج عن حده فهو بالاتفاق ممنوع. لا كما يهوى أصحاب الأهواء المضلة والألحان المبتدعة. هدانا الله وإياهم.

وقَالَ ابن القاسم تلميذ مالك: وَسُئِلَ مَالِكٌ عَن الْأَلْحَانِ فِي الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ: لَا يُعْجِبُنِي وَأَعْظَمَ الْقَوْلَ فِيهِ، وَقَالَ: إنَّمَا هَذَا غِنَاءٌ يَتَغَنَّوْنَ بِهِ لِيَأْخُذُوا عَلَيْهِ الدَّرَاهِمَ.[2] وقال عبد الله بن الإمام أحمد -رحمه الله-: سمعت أبي وقد سئل عن القراءة بالألحان فقال: محدث، إلا أن يكون طباع ذلك.[3]

قال ابن نجيم الحنفي في البحر الرائق شرح كنز الدقائق: (وَأَمَّا الْقِرَاءَةُ بِالْأَلْحَانِ فَأَبَاحَهَا قَوْمٌ وَحَظَرَهَا قَوْمٌ وَالْمُخْتَارُ إنْ كَانَتْ الْأَلْحَانُ لَا تُخْرِجُ الْحُرُوفَ عَنْ نَظْمِهَا وَقُدُورَاتِهَا فَمُبَاحٌ وَإِلَّا فَغَيْرُ مُبَاحٍ كَذَا ذَكَرَ وَقَدَّمْنَا فِي بَابِ الْآذَانِ مَا يُفِيدُ أَنَّ التَّلْحِينَ لَا يَكُونُ إلَّا مَعَ تَغْيِيرِ مُقْتَضَيَاتِ الْحُرُوفِ فَلَا مَعْنَى لِهَذَا).[4]

قال ابن قدامة: «كره أبو عبد الله القراءة بالألحان، وقال: هي

---

(١) زاد المعاد، ١/٤٧٤.

(٢) المدونة، ١/٢٨٨.

(٣) مسائل الإمام أحمد، ١/٤٤٢.

(٤) البحر الرائق، ٧/٨٨.

بدعة».[1]

وعن عبد الرحمن المتطبب، قال: قلت لأبي عبد الله في قراءة الألحان؟ فقال: (يا أبا الفضل، اتخذوه أغاني، اتخذوه أغاني، لا تسمع من هؤلاء).[2]

قال النووي- رحمه الله-: «قال العلماء رحمهم الله: فيستحب تحسين الصوت بالقراءة ترتيبها ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط فإن أفرط حتى زاد حرفا أو أخفاه فهو حرام».[3]

وقال أيضا -رحمه الله-: «وأما القراءة بالألحان فقد قال الشافعي رحمه الله في موضع أكرهها، وقال في مواضع: لا أكرهها. قال أصحابنا: ليست على قولين بل فيه تفصيل إن أفرط في التمطيط فجاوز الحد فهو الذي كرهه، وإن لم يجاوز فهو الذي لم يكرهه، وقال أقضى القضاة الماوردي في كتابه الحاوي القراءة بالألحان الموضوعة إن أخرجت لفظ القرآن عن صيغته بإدخال حركات فيه أو إخراج حركات منه أو قصر ممدود أو مد مقصور أو تمطيط يخل به بعض اللفظ ويتلبس المعنى فهو حرام، يفسق به القارئ ويأثم به المستمع؛ لأنه عدل به عن نهجه القويم إلى الاعوجاج والله تعالى يقول قرآنا عربيا غير ذي عوج

---

(١) المغني، ١٢٨/٢.

(٢) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، ٨٠/٢.

(٣) التبيان، ١١٠/١.

قال وإن لم يخرجه اللحن عن لفظه وقراءته على ترتيله كان مباحا؛ لأنه زاد على ألحانه في تحسينه هذا كلام أقضى القضاة. وهذا القسم الأول من القراءة بالألحان المحرمة مصيبة ابتلي بها بعض الجهلة والطغام الغشمة الذين يقرؤون على الجنائز وبعض المحافل وهذه بدعة محرمة ظاهرة يأثم كل مستمع لها كما قاله أقضى القضاة الماوردي ويأثم كل قادر على إزالتها أو على النهي عنها إذا لم يفعل ذلك وقد بذلت فيها بعض قدرتي وأرجو من فضل الله الكريم أن يوفق لإزالتها من هو أهل لذلك وأن يجعله في عافية». [1]

وقال ابن تيمية رحمه الله: (ومع هذا فلا يسوغ أن يقرأ القرآن بألحان الغناء ولا أن يقرن به من الألحان ما يقرن بالغناء من الآلات وغيره). [٢]

وقال القرطبي رحمه الله: «ومن حرمته ألا يقعر في قراءته كفعل هؤلاء الهمزيين المبتدعين والمتنطعين في إبراز الكلام من تلك الأفواه المنتنة تكلفا، فإن ذلك محدث، ألقاه إليهم الشيطان فقبلوه عنه ومن حرمته ألا يقرأه بألحان الغناء كلحون أهل الفسق». [3]

وقال الطرطوشي رحمه الله: (فأما أصحاب الألحان؛ فإنما حدثوا

---

(١) التبيان، ١/١١١.

(٢) الاستقامة، ١/٢٤٦.

(٣) تفسير القرطبي، ١/٢٩.

في القرن الرابع... وكانوا مهجورين).[1]

وفتاوى المعاصرين من الفقهاء والمحدثين معلومة ومشهورة كابن باز والفوزان وابن عثيمين ومن نهج نهجهم في بدعة المقامات الموسيقية.

والخلاصة: إن القراءة بالمقامات بدعة محدثة في دين الله عز وجل، ليست من هدي القراء السلفيين من الصحابة والتابعين، بله ولا من سنة سيد المرسلين. ولو كانت سنة لسبقنا إليها السلف ولفعلوها. ولا أعلم إجازة صحيحة كتب فيه أن فلانا مجاز برواية كذا أو قراءة كذا على مقام النهاوند أو الصبا أو الحجاز أو الجهاركا....إلخ. أيها القراء! إياكم والتنطع والاختلاف،إن علم المقامات علم لا علاقة له بعلم التجويد والقراءات، وإنما هو علم الراقصين والراقصات، والمغنين والمغنيات، والمطربين

والمطربات، والمبتدعين والمبتدعات، فهو اخترع ونشأ في أحضان المبتدعة المنحرفين.

أيها القراء:

عضّوا على سنة رسول الله بالنواجذ، واسلكوا طريق السلف الصالح، وكونوا على ما كانوا عليه.

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد

(١) الحوادث والبدع، ٨٥/١.

كفيتم).[1]

وقال حذيفة رضي الله تعالى عنه: (كلّ عبادة لم يَتَعبدْ بها أَصْحابُ رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- فلاَ تَتَعبّدوا بها؛ فإِن الأَوّلَ لَمْ يَدع للآخِر مَقالا).[٢]

وقال أيضاً: (اتَّقُوا اللَّهَ يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ، وَخُذُوا طَرِيقَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَوَاللَّهِ لَئِنِ اسْتَقَمْتُمْ لَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، وَلَئِنْ تَرَكْتُمُوهُ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا).[٣]

يا قارئَ القرآنِ خذ بوصيّةٍ
مِن زيغ تجّارِ الهَوَى تُنجيكا
إن شئتَ نهجَ نبينا وصحابه
فدع العناية بالصبا، والسيكا
والناهوند، وبالحجاز، وعجْمهم
وكذا جهرْك، ورستِهم، ما تيكا؟
قالوا: مقاماتٌ يزين بها الأدا!!
أفٍّ لهذا القول لا يُغريكا
إن لم يكن نصُّ الكتابِ مؤثِّراً
أيؤثِّرُ النغمُ الذي يُرديكا؟
إن كان لا يكفيك فعل محمدٍ

(١) البدع لابن وضاح، ١/٣٧.

(٢) الأمر بالاتباع للسيوطي: ص:٦٢

(٣) الزهد والرقائق لابن المبارك، ١/١٦.

قل لي بربِّك ما الذي يكفيكا؟

إن كان لا يُرضيك شأنُ صحابهِ

والتابعينَ فما الذي يُرضيكا؟

إمّا قنِعتَ بما تواتر عنهمُ

فلسوف يحفظك القويْ، ويقيكا

وحذارِ ميلَك للهوى ودعاته

كيْ لا تصير إلى الضياعِ وشيكا

أترى القرانَ بحاجةٍ لبراعةٍ

وصناعةٍ من فارسٍ تأتيكا؟

للذكر أنزله العليمُ فصيَّروا

آياتِه طرباً، ولهواً حيكا

جوِّد إذا رمتَ الرّقيَّ حروفَه

تحدوكَ للفردوسِ أو تُدنيكا

حسِّن أداءك بالكتابِ سجيَّةً

واعمل بهِ تظفر بما يُغنيكا

وخير أمور الدين ما كان سنة   وشر الأمور المحدثات البدائع.

وكل خير في اتباع من سلف   وكل شر في ابتداع من خلف

والله أسأل أن يجعل أمرنا مبنياً على الاتباع لا على الابتداع، على الإخلاص لا على الإشراك، على السنة لا على البدعة، على ما يحبه الرحمن لا على ما يحبه الشيطان، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه: أبو إسماعيل: إبراهيم بن محمد كشيدان.